نحو ادارة فلسطينية للتفاوض

أحمد شاهين

باحث ـ مركز الابحاث، م.ت.ف. (نيقوسيا)

يلاحظ المتتبع لتاريخ المشكلة الفلسطينية تأرجحها بين محاولات الحسم لصالح هذا الجانب أو ذاك من طرفي الصراع الاساسيين، الفلسطيني والصهيوني، وبين الاتجاه نحو التسوية، وتناوب الطرفان، أيضاً، الأدوار؛ فالحركة الصهيونية سعت، في بداية نشاطها في فلسطين، الى الوصول مع الفلسطينيين الى نوع من التسوية تسمح بالتعايش المشترك؛ كما سعى الفلسطينيون، منذ ما بعد حرب العام ١٩٤٨، الى قبول الأمر الواقع، وبشكل واضح بعد العام ١٩٧٣، الى البحث عن تسوية تسمح «بالتجاور»، مع ان الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في خطابه في حضور الامم المتحدة في العام ١٩٧٤، لم يلغِ، بل أكد على فكرة التعايش المشترك بطرحه فكرة قيام دولة ديمقراطية في فلسطين تتعايش فيها شعوب الديانات الثلاث: الاسلام والمسيحية واليهودية؛ انما كما وقعت محاولات الصهيونيين، في حينه، على آذان فلسطينية صمّاء، كذلك وقعت دعوات فلسطينية للتسوية والتعايش على آذان اسرائيلية صمّاء؛ وكان الدم هو منطق الحوار وخطابه في خلال ما يقارب القرن من الزمان.

وعلى هامش الصراع الصهيوني ـ الفلسطيني وبسببه، تولّد ونما صراع عربي ـ اسرائيلي ذا مستويين: الاول، رسمي، عبّر عنه القادة السياسيون، العرب والاسرائيليون، في اتصالاتهم «الودية» قبل اقامة الكيان الاسرائيلي لبلورة صيغة تعايش (من اتصالات فيصل ـ وايزمان الى اتفاقيتي كامب ديفيد ومؤتمر مدريد)، أو في أشكال الصدام الحربي بين الكيانات العربية والكيان الاسرائيلي منذ العام ١٩٤٨ وما بعده. والثاني، شعبي، وظّف لدى الجانبين كعنصر ضغط على القادة، وتحريض من القادة، لدى كلا الجانبين، العربي والاسرائيلي (في الجانب العربي تحت شعار «تحرير فلسطين»، وفي الجانب الاسرائيلي تحت شعار «عدم التنازل عن أرض ـ اسرائيل الكبرى»). ورفعت حرارة الانفعال الشعبي لدى الطرفين الى مستوى «المقدسات» اعتماداً على ما تمثّله فلسطين لدى الذاكرتين الجمعيتين، العربية واليهودية، من قيم دينية مقدّسة بطبيعتها. وأدّى ذلك الى تسلّق الطرفين أشجاراً عالية لا يمتلك أياً منهما سلّماً للنزول من عليها الى عالم السياسة والمصالح. واكتسبت الحروب المتبادلة لديهما طابع «الجهاد المقدس».

واحتكرت دول الغرب، انطلاقاً من رؤيتها لمصالحها، وفي إطار منظورها للهيمنة على العالم، «سلّم التسوية» وقرار «توقيت» استخدامه، مع ميل مفضوح الى جانب اسرائيل، دون الالتفات للطرف العربي الاساس في معادلة الصراع (الفلسطينيين)، والى الارض التي يدور من أجلها الصراع